
Analytical study of the narrative structure of Surah Yusuf (PBUH) and its internal elements [In Arabic]

Mohammad Hassan Amrayi^{1*}

¹ Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Foreign Languages, University of Velayat

*Corresponding author: amrayy77@yahoo.com

DOI: 10.22034/JLTLL.2021.528534.0

Received: 11 Mar, 2021

Revised: 01 Apr, 2021

Accepted: 28 Apr, 2021

ABSTRACT

Quranic stories take their content from historical facts and are unique in nature, purpose and composition. It presents the facts that in its narration, the subject and the idea are in harmony with the religion of Islam. This article is a descriptive and analytical method to reveal the structure of the narrative form of the story of Joseph (pbuh) in expressing time, place, conflict, plot, characters and other elements of the inner story. The structure of narration in Surah Yusuf is an objective interaction, a framework in which it is linked to dialogue and an invitation to adhere to human values and principles. The characters of this story, the plot and its temporal-spatial dimensions, highlight the linguistic feature of the miracle of Quranic discourse. Conflicts in the story of Joseph (pbuh) to: 1. General conflicts between the characters in the story that include several conflicting images, including: The struggle of Joseph (pbuh) with him. Brothers, the struggle of Yusuf (pbuh) with the wife of the king, the struggle of Yusuf (pbuh) with the women of the city, the struggle of Yusuf (pbuh) with the ruling regime, the struggle of Jacob (pbuh) with his sons and also the struggle of the beloved woman with the women. 2. The inner psychological contradiction of the Qur'anic character of the story, which is represented in the inner conflict between Yusuf (pbuh) and Yaqub (pbuh). 3. The conflict between man and nature. The characters in Joseph's story can be divided into two main types: stable characters, especially Jacob and Joseph, and anxious and changeable characters, especially the wife of the king of Egypt and Joseph brothers. Conflict in Yusuf's story culminates when anxious characters emerge victorious and fixed characters, especially Yusuf, remain in a state of mystery, ambiguity, and waiting for the unseen. Then comes the end of the conflict and the unraveling of the plot, which reveals the lies of the anxious characters and the retreat from their positions in the face of the hero's power and his steadfastness in his right position.

Key words: Quran, Fiction Studies, The Story of Prophet Yusuf (PBUH), Internal Elements, complication, Characterization.

دراسة تحليلیة فی بنية الشكل الروائی لسورة یوسف (ع)

وعناصرها الداخلية

محمد حسن امرایی*

۱. أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات الأجنبية، جامعة الولاية

* الكاتب المسؤول Email: amrayy77@yahoo.com

DOI: 10.22034/JLTL.2021.528534.0

تاریخ القبول: ۱۴۴۲/۰۹/۱۵

تاریخ المراجعة: ۱۴۴۲/۰۸/۱۸

تاریخ الاستلام: ۱۴۴۲/۰۲/۲۷

الملخص

يهدف هذا المقال إلى قصة النبي يوسف (ع) القرآنية علما بأنها تختلف عن القصص الأدبية الفنيّة؛ إذ القصّة القرآنية تستمد مادّتها من الواقع والحقائق التاريخية وليست للتذوّق الأدبيّ أو للمتعة، بل هي فريدة في طابعها وغايتها وتكوينها؛ وتوحى إلى وقائع تجسد بسرديتها الموضوع والفكرة المنسجمة مع روح العقيدة الإسلاميّة. إنّ قصة يوسف (ع)، قصة حقيقية معبّرة ليست من نسج الخيال أو من وحى الخرافات بل هي خير عبرة وخير عظة. واشتملت على غالبية عناصر القصّة الأدبية الفنيّة كما اشتملت على الكثير من المشاهد التصويرية بحيث تجعل المتلقّي يرى فعلا ما حدث وكأنه مائل أمام ناظره. هذه القصّة تمثل أنموذج الشاب الصابر المتعالى على الشهوات المترفع عن إغراءات الشيطان والمثل العظيم في استدعاء إلى عقيدة التوحيد وإعلاء كلمة الله. هذا المقال بالاعتماد على المنهج الوصفيّ والتحليليّ يهدف إلى الكشف عن بنية الشكل الروائيّ لقصة يوسف (ع) في التعبير عن الزمان والمكان والصراع والحبكة والشخصيات وغيرها من عناصر القصّة الداخلية واستنباط إichاءات النص وميزاته الفنيّة.

الكلمات الرئيسية: قصة النبي يوسف (ع)، العناصر الداخلية، الزمكانية، الشخصيات، الصراع، الحوار.

١. المقدمة

١ - ١. ملخص السورة

ولد يوسف (ع) وله أخ من أبيه وأمه، اسمه «بنيامين» وكان له أحد عشر أخاً من أبيه وكان يحظى بحب كبير لأبيه يعقوب (ع) وهذا الحب دفع إخوته للتآمر عليه منطوين على الغيرة والحسد له. ذات ليلة رأى يوسف (ع) أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين، فقصّ على أبيه ما رأى، فطلب أبيه منه: ألا يقصّها على إخوته. ثمّ وسوس الشيطان إخوته فألقوه في البئر وادعوا أنّ الذئب قد أكله، ثمّ عثر عليه قافلة متجهة إلى مصر أحيانا، فأخذوه وباعوه بثمن بخس واشتراه عزيز مصر وطلب من زوجته أن ترعاه؛ ولكنها عندما كبر يوسف (ع)، أخذت تراوده عن نفسه، فأبى، فكادت له وأسجنه، ثمّ أظهر الله براءته وأخرجه من السجن واستعمله الملك بعد براءته على اقتصاد مصر (أو شؤون الغذاء) الذي أحسن إدارته في سنوات الجذب والقحط، ثمّ اجتمع شمله مع إخوته ووالديه وخرّوا له سجدا وتحققت رؤياه وفي نهاية المطاف انتهت القصة بنجاة يوسف (ع) من أجل صبره وثبوته على المحن.

١ - ٢. تسميتها

سميت بسورة يوسف (ع)؛ لأنها ذكرت قصة نبي الله يوسف (ع) كاملة دون غيرها من سور القرآن الكريم ولم يرد في سور القرآن الكريم تفصيل قصة من القصص باستقصائها من أولها إلى آخرها غير قصته (ع)، وقد خصت السورة بها من غير شركة ما من غيرها. (الطباطبائي، لا تأ: ٣٩/١١) إنّ جميع آيات هذه السورة سوى الآيات القليلة التي تقع في نهاية السورة تبين قصة نبي الله يوسف (ع) لذلك سميت باسمه.

١ - ٣. تعريف السورة

سورة يوسف (ع) «إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء» (الصابوني، ١٩٨١م: ٣٩ / ٢) وهي «مكية بجملتها، نزلت بعد سورة هود، على خلاف ما ورد في المصحف الأميري من أن الآيات (١، ٢، ٣، ٧) منها مدنية» (سيد قطب، ١٩٤٩م: ١٩٤٩/٤) وهي «مائة وإحدى عشر آية وعدد كلماتها: ألف وتسعمائة وست وستون كلمة وعدد حروفها: سبعة آلاف ومئة وست وستون حرفاً» (الدمشقي الحنبلي، ١٩٩٨م: ٤٦ / ١) وهي «السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور على قول الجمهور» (ابن عاشور، ١٩٧٦م: ١٢ / ١٩٨) وفي مجمع البيان أنها «سورة مكية وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية بالإجماع.» (الطبرسي، لا تأ: ٣١٥/٥)

۱ - ۴. فضل السورة

هناك في الروايات الإسلامية فضائل مختلفة في تلاوة سورة يوسف (ع)، روى «أبي بن كعب عن النبي (ص) قال: علموا أرقاءكم سورة يوسف (ع) فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هوّن الله تعالى عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً. وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال: من قرأ سورة يوسف (ع) في كل يوم أو في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف (ع) ولا يصيبه فرع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين» (الطبرسي، لاتاً: ۳۱۵/۵) وفيها كذلك عجائب من البلاء والفوائد؛ لأنه كل من ذكر فيها من الأشخاص كانت نهايتهم سعيدة فهي محل فآل. قال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف (ع) محزون إلا استراح إليها. وقال القرطبي ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد وفي وجوه مختلفة وبألفاظ متباينة، على درجات البلاغة والبيان وذكر قصة يوسف (ع) ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة المكرر ولا على معارضة غير المكرر والإعجاز واضح لمن تأمل. وصدق الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} (يوسف: ۱۱۱). ومما يلزم ذكره هو مع أن السور المكية تحمل في الغالب طابع التهديد والإنذار إلا أن سورة يوسف اختلفت عن هذه الأسلوب فجاءت ندية في أسلوب ممتع رقيق يحمل جوّ الأُنس والرحمة وقال خالد بن معدان: «سورة يوسف ومريم مما يتفكّك به أهل الجنة في الجنة». ولقد ابتدأت السورة بحلم: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (يوسف: ۴) وانتهت بتفسير الحلم: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} (يوسف: ۱۰۰) وللسورة أسلوب فذ فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها وفي قصصها الممتع اللطيف وتسرى مع النفس سريان الدم في العروق وجريان الروح في الجسد.

۱ - ۵. الدراسات السابقة

لقد اهتم العلماء والباحثين من العرب والفرس اهتماماً فائقاً بالقرآن الكريم ولا سيما سورة يوسف (ع)، وتأسيساً على هذا ألفوا أعمالاً قيمة تستحق الذكر لا تعد ولا تحصى، في ما يلي نشير إلى بعض الكتب والمقالات المختلفة التي أنجزت حول هذه السورة الشهيرة:

- «الأثر الفني للقصّة القرآنيّة في بناء قصة يوسف (ع) وزليخا الفارسية (كتاب مثنوى معنوى نموذجاً)»، مقال كتبه الباحثان مظهر مقدمي فر وحميرا حميدى، سنة (۱۳۹۱ش) وجاءت هذه الدراسة للتناول عناصر

القصة الفارسية التي تأثرت بالقصة القرآنية ومظاهر هذا التأثير، مستعرضة تجليات القصة القرآنية في كتاب مثنوى معنوى.

- «تصوير آفريني شخصيتها در سوره يوسف (ع)»، مقالة كتبها الدكتور خليل برويني أستاذ مشارك بجامعة إعداد المعلمين ودرس فيها البعد التصويري لشخصيات القصة وتوظيفاتها الفنية فيها.

- «بررسی قصه يوسف در قرآن وادبیات فارسی با تکیه بر شخصیت پردازی»، رسالة مقدمة إلى جامعة إعداد المعلمين بطهران لنيل شهادة الماجستير كتبها آنسة "شكوفه ماسوري" باللغة الفارسية سنة (١٣٧٧ش).

- «تأویل وقرائت حکمی و نمایشی سوره يوسف (ع)» رسالة الدكتوراه، قدمها الطالب محمد علي خبري باللغة الفارسية إلى جامعة إعداد المعلمين بطهران سنة (١٣٨٤ش).

- «الحبک مکانی فی السیاق القصصی القرآنی سورة يوسف نموذجاً» مذكرة لنيل شهادة الماجستير قدمتها الباحثة أمينة عشاب سنة (٢٠٠٦ - ٢٠٠٧م) إلى جامعة حسينية بن بوعلی بالشلف، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها وتطرق فيها إلى القصص بين المفهوم القرآني والمفهوم الأدبي، خصائصها ودلالاتها وأسلوبيات السرد القصصی القرآنی ودلالة المكان في القصة القرآنية.

- «بلاغة الكلمات الجامعة في سورة يوسف (ع)» مقال كتبه الناقد الأدبي الفلسطيني عبدالرحمن حمدان حمدان، سنة (٢٠١٣م) ولمح فيه إلى أسلوب القصة في سورة يوسف (ع) والإيجاز والإطناب والوصل والحكمة والأمثال والتصوير الفني وغيرها من الوسائل الفنية، ومن أبرز تلك الأدوات هو "الكلمات الجامعة".

- «تحليل ادبي داستان های قرآن»، أطروحة للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها قدمها الدكتور خليل برويني إلى جامعة إعداد المعلمين سنة (١٣٧٨ش) حيث درس القصص القرآنية دراسة تحليلية أدبية وتطرق فيها إلى البعد التصويري لشخصيات قصة يوسف (ع).

- «بلاغة مقام القص القرآنی سورة يوسف نموذجاً» بحث مكمل لنيل شهادة الماجستير، قدمه الكاتب: عزوز سطوف إلى جامعة منتوري قسنطينة بالجمهورية الجزائرية وعنى فيه بدراسة البلاغة وبخاصة مقامها في قصة يوسف (ع) باعتباره مفهوما أساسيا من البلاغة العربية.

- «البعد التصويري في القصص القرآنية، سورة يوسف نموذجاً» رسالة قدمتها الباحثة مريم سعود إلى كلية الآداب واللغات بجامعة الجزائر سنة (٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م) ودرست فيها التصوير الفني في القرآن الكريم ولا سيما مظاهره وموضوعاته في سورة يوسف (ع) دراسة تحليلية قيّمة.

- «بنية الخطاب السردى فى سورة يوسف (ع)، دراسة سيميائية»، مقال كتبه الدكتور دفة بالقاسم فى مجلة موقف الأدبى بجامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الأدب العربى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية سنة (۲۰۰۸م)، العدد: ۴۳۸، ودرس فيها الكاتب قصة يوسف دراسة سيميائية أسلوبية لسانية.
- «دراسة نقدية فى توظيف الاسترجاعات فى قصة النبىّ يوسف (ع)» مقالة لحسين كيانى والآخرون طُبعت فى مجلة اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، برديس قم سنة (۱۳۹۲ش) واستهدفت تبين فاعلية الاسترجاعات ومدى تأثيرها فى قصة يوسف (ع) فى القرآن.
- «بلاغة السرد القصصىّ فى قصص القرآن الكريم، سورة يوسف نموذجاً»، للدكتور عبدالمنعم إبراهيم، طُبِع سنة (۲۰۰۸م) فى القاهرة منشورات مكتبة الآداب وهو قراءة فى ضوء مفاهيم السرد المعاصرة.
- «سورة يوسف (ع) دراسة تحليلية»، أَلفه الباحث أحمد نوفل سنة (۱۹۸۹م) فى عمان وطبع فى منشورات دارالفرقان للنشر والتوزيع.
- «الحبكة القصصية فى القرآن الكريم قصة يوسف (ع) أنموذجاً» مقال نشرت فى مجلة نور القرآن العدد الثالث سنة (۲۰۰۷م).
- «جمالية القصة القرآنية، سورة يوسف نموذجاً» مقال للدكتورة بان حميد فرحان طُبِع فى مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، وأعرض فيها الباحث لجماليات سورة يوسف (ع) وبعض أساليبها فى السورة.
- «الخطاب القصصىّ القرآنى دراسة أسلوبية تداولية، قصة يوسف نموذجاً»، رسالة قدّمها نورالدين خيار إلى جامعة الجزائر سنة (۲۰۰۳ - ۲۰۰۴م) معدّة لنيل شهادة الماجستير ودرس فيه الباحث سورة يوسف (ع) دراسة لغوية فى مختلف مستوياتها من أصوات وصرف ونحو ودلالة. وغيرها من الدراسات المتناثرة فى ثنايا الكتب والمجلات المنشورة فى المواقع الإلكترونية التى ربّما جاءت بأشياء مهمّة عن السورة هذه وفاتها أشياء أخرى لا تقلّ أهميّة عنها، ورغم ذلك لم نعر على دراسة شاملة وافية لموضوع المقال: دراسة تحليلية فى بنية الشكل الروائىّ لسورة يوسف (ع) وعناصرها الفنيّة وإيحاءاتها بصورة مركزة.
- ۱ - ۶. أسئلة البحث
- ۱ - ۶ - ۱. ما هى كيفية بناء القصة وإطارها الشكلاى فى سورة يوسف (ع)؟
- ۱ - ۶ - ۲. ما هى العناصر الداخلية والفنية فى قصة يوسف (ع) وميزاتها؟
- ۱ - ۷. فرضيات البحث
- وأما الفرضيات التى بنى عليها هذا المقال هى:

١ - ٧ - ١. قصة يوسف (ع) جاءت في السورة عبر مجموعة من المشاهد التي ترتبط فيما بينهما ترابطاً عضوياً، فالانتقال من موقف إلى موقف آخر في القصة يتم - غالباً - دون رابط سردي غير أن الارتباط برابط السببية بين المشاهد، يعنى عن السرد المحذوف ويقوم بدوره ويخلق في الوقت ذاته حالة من الحركة التعبيرية.

١ - ٧ - ٢. كما كانت القصص الأدبية الفنية قد بنيت على العناصر الداخلية ففي القرآن الكريم كذلك ولا سيما قصة يوسف (ع) منه، تتكون من العناصر الداخلية؛ إذ إن الآيات القرآنية لها القيم الأدبية تتجلى في موضوع والفكرة والشخصية والحبكة والصراع وغيرها من العناصر الداخلية.

٢. عرض الموضوع

٢ - ١. الفكرة الرئيسية

إن من ألقى نظرة عابرة على هذه السورة بإمكانه بعد استكمال تلقي النص أن يصل إلى المقدمة المنطقية التي انطلق منها والفكرة الأساسية التي دار حولها، فحجر الأساس والمحور الرئيسي الذي بنيت عليه هذه القصة الجميلة هو يوسف (ع) وإخوته الذي يؤكد بالتركيز الآية السابعة: *﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾* (يوسف: ٧) ثم القصة هذه تعلل سبب هذا التركيز في قوله تعالى: *﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾* (يوسف: ٨) وكل ما تبع ذلك من صبر يوسف (ع) وأبوه يعقوب (ع) من المأساة والمحنات الشديدة كان مفتاح الفوز ورسالة النجاة: *﴿رُقُلٌ هَدَاهُ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾* (يوسف: ١٠٨) يتضح أن الفكرة الرئيسية التي تحملها القصة تدور على ذلك الإطار لتؤكد على أن الصبر على المحن والتوكل على الله نتيجته الانتصار والنجاح وزوال كل العقوبات.

٢ - ٢. الزمان

«سارت القصة في سورة يوسف (ع) وفق نظام ترتيب تتابعي في الغالب؛ لكنها اعتمدت ترتيب الزمن على تقانتي الاستباق والاسترجاع وتميزت القصة ببروز الاستباق على غير المألوف في القصة الفنية، حيث ظهر الاستباق الداخلي تحديداً في عشرين موضعاً، في حين ظهر الاسترجاع في خمسة عشر موضعاً وذلك يختلف عن نتائج الدراسات السابقة أشارت إلى تدرج مسار الحبكة السردية من حيث الترتيب الزمني من طفولة يوسف (ع) إلى بلوغه أشده حتى رجولته تدرجاً زمنياً طبيعياً لا تسبق مرحلة متأخرة منه مرحلة متقدمة في الترتيب الزمني» (بالقاسم، نقلاً عن تمام حسان، ٢٠٠٠م: ٣٥٦/٢)، كما جاءت الأحداث الثانوية

نفسها تتدرج منطقياً مع نمو يوسف (ع)، فمن الحلم بالنبوة إلى تدبير المؤامرة ضده، إلى إنقاذه وبيعه إلى وزير الملك، إلى غواية امرأة العزيز، إلى إصااق التهمة به وسجنه، وإنعام الملك عليه بوزارة المال، إلى اللقاء المشير وتحقق الرؤيا. و«قد تتابعت الأحداث في سورة يوسف وفق نظام محكم دقيق، ليس لمجرد القصص، بل جاءت متعاقبة يتلو بعضها بعضاً في حلقات محكمة، تتسم بالوحدة العضوية، حيث تدور حول أبناء الضرائر^١ وحول المحبة والكره والحقد والشهوة والعفة وتفسير الرؤيا والعقوبة والبراءة» (المصدر نفسه: ۲/۳۵۶)

هناك للقرآن منهج خاص في عرض الزمن والتأريخ، بحيث عندما يورد قصة من الزمن الماضي لا يذكر لنا في أي سنة بدأت أحداث هذه القصة ولا في أي سنة انتهت كما لا يذكر ترتيبها الزمني في التأريخ، فلا نعلم متى خلق آدم (ع) ومتى كان طوفان نوح (ع) ولا متى كيد ليوسف (ع) وينبغي أن لا ندرك من ذلك عدم اهتمام القرآن بالتأريخ والزمن الدقيق، فالحقيقة أن القرآن أولى اهتماماً بالغاً بالزمن وتنظيمه وأحرص كل الحرص على التصريح بجزئيات الزمن التي تساعد في توضيح الحدث أو القصة معرفة واعتباراً، فالعنصر الزمني يظهر حين يتطلبه المقام لإخراج الحدث في صورة تقرب المشهد وتجليه وتكشف مرامييه. فها هم إخوة يوسف وقد نفذوا مكرهم به يعجزون عن مواجهة أبيهم في ضوء النهار خشية افتضاح إمارات الجريمة على وجوههم؛ لذلك أفصح القرآن لنا زمن المواجهة بهذه الفاجعة ليعقوب (ع) بقوله تعالى: {وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ} (يوسف: ۱۶) فذكرُ الزمن في القرآن يكون مرتبطاً بالهدف وهو العبرة دون اقتصار على مجرد المعرفة التاريخية، فقولته تعالى: {ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجُنُّهُ حَتَّىٰ حِينٍ} وقوله: {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} يدلّ على أن «محنة السجن» مع امتدادها لم تتل من إيمان يوسف (ع) ولم تزرع من ثقته بربه. لعل الملاحظ في هاتين الآيتين أنه قال: (حتى حين) و(بضع سنين) أي لم يحدد الله الزمن الذي مكثه في السجن على الرغم من أهميته، ومما لا شك فيه أن عدم التحديد يزيد من الشعور والإحساس بذلك الظلم الفادح الذي وقع على يوسف (ع) كما يشعر بفساد نظام الحكم حتى أن البريء يمكن أن يبقى في ظل هذا الفساد سجيناً مدة لا حساب للزمن فيها. وإذا كان القرآن الكريم لم يحدد الزمان وعبر عنه ب«حين» و«بضع سنين» فنرى يقول في قوله تعالى على لسان يوسف: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ} * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ} * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِوْنَ} {وإنه لم يقل (تزرعون حيناً) أو (بضع سنين)؛ لأنه لا مجال لإشعار الناس بالظلم الفادح الذي تعرض له يوسف (ع) وإنما المجال مجال تخطيط اقتصادي ومجال إنقاظ للشعب من المجاعة المنتظرة التي أرهصت بها رؤيا الملك وفسرها يوسف

(ع) ورأينا في هذه الآيات ثلاث مراحل زمنية محددة، وبذلك جمعت قصة يوسف (ع) وهي الأنموذج الأعجازي الكامل للأداء القصصي بين أمرين رمانيين متقابلين: أمر زمني مهم يرتبط إغفال الزمان فيه بالفساد والظلم و أمر زمني واضح يرتبط تحديد الزمان فيه بالإصلاح والتخطيط.

٢ - ٣. المكان

لا يهتم القرآن بذكر أسماء الزمان والمكان إلا إذا كان لهما وضع خاص يؤثر في سير الحدث أو يرينا شواهد العزة والعبرة منهما. وأسلوبه يتفاوت مع الأثار الأدبية الأخرى، بحيث عندما نلقى نظرة عابرة على التوراة مثلا نلاحظها يعتمد على المنهج التاريخي فيذكر الزمان والمكان والأسماء والأماكن وشتى التفاصيل، أما القرآن فتتحول فيه الحادثة التاريخية المحدودة بالزمان والمكان والأشخاص إلى قضية إنسانية عامة تصلح للعظة والاعتبار في كل زمان ومكان؛ فلذلك نرى أن الله تعالى في سورة يوسف (ع) ذكر المكان عندما يلزم أثره المباشر في نمو الحدث، ومن ذلك يذكر «الجب» لأثره في محنة يوسف (ع)، كما ذكر «مصر» ليكشف عن الغربة التي حلت بقلب يوسف (ع) فيها، حيث حالت بينه وبين أهله نازحا عن بلده، فضلا عن كونها مسرحاً للأحداث التي نمت من خلاله وذكر بيت «العزیز» كذلك ليصور لنا أصعب محنات يوسف (ع) مع امرأة العزيز في هذا البيت وذكر السجن ليميط اللثام عن إيمان يوسف وصبره على المحن وشخصيته المستعالية على الشهوة الداعية إلى الله وعقيدة التوحيد في كل الأحوال وذكر العرش الذي يرمز لمنصب يوسف (ع) اللامتناهي في القصة.

ومن هذا المنطلق، يبدو جلياً تركيز الله تعالى على «مصر» باسمه الخاص صراحةً، أكثر من مرة؛ إذ تكون مسرحاً لغالبية أحداث القصة وابتداءً من بيع يوسف واسترقاقه كما ورد في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} إلى آخر أحداث القصة ومجيء يعقوب وبنيه واستقرارهم فيها. وفي هذا المجال يقول الله تعالى: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٌ} (يوسف: ٩٩)

«تعاملت قصة يوسف (ع) مع المكان بانتقاء جمالي، أفاد أحداث القصة وتخيل مجرياتها، حيث منح الأحداث الإطار المكاني المطلوب، فأحداث القصة الأولى جرت في البادية، حيث الصعوبة وشظف العيش، أما الجزء الثاني من أحداث القصة فقد جرى في المدينة» (غنيم، ٢٠٠٧م: ٣٧)

هناك نكتة لطيفة وهي أن قصة يوسف (ع) لم تذكر اسم «كنعان» وهي أرض يوسف الأبوية ولم تتحدث عنها شيئاً بل في نقطة مقابلها لمحت إلى أماكن أخرى ومن أهمها ما أشرنا إليها بخط ممتد: ١. *أرسله معنا*

عَدَا نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ، حيث تتحدث السورة عن الخميطة والذئب وافتراس يوسف وكذلك عن المكان الذي ترتع فيه الأغنام. ٢. وَالْقَوَاهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ. ٣. وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ. ٤. وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ٥. وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ. ٦. أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا ٧. ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُ حَتَّى حِينٍ. ٨. وَسُئِلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ.

ومن الملاحظ عليه أن عنصر الزمان والمكان في هذه القصة يكون مبهما بحيث يثير أسئلة متداولة إلى الأذهان ومنها أن: كم كان سن الشخصيات الموجودة في القصة أو كم سنة سجن يوسف (ع) وأين كان هذا السجن كما لا يكون مكان بئر يوسف في القصة معلوماً وغيرها من السؤالات الكثيرة التي تدلنا إلى وجود الإبهام في الأزمنة والأمكنة الموجودة في القصة هذه.

٢ - ٤. الشخصيات

تتكون القصة من الجزئيات الكثيرة التي تشكلها شخصيات القصة المختلفة من الرتب والطبقات الاجتماعية والحياة الدينية والنزعات المختلفة. إن يوسف (ع) هو «الشخصية المحورية في القصة الذي يمثل دوره البارز فيها، أما الشخصيات الأخرى: يعقوب (ع)، إخوة يوسف الكبار، أخ يوسف الصغير، أفراد القافلة، العزيز، امرأة العزيز، النسوة في المدينة، الشاهد، الفتيان "صاحب السجن"، الملك، فقد قامت بوظائف ثانوية وأسهمت بدورها في دعم الشخصية المحورية "يوسف" من تنامي الأحداث وتأزمها حتى أصبحت القصة مترابطة، متماسكة، فكانت البداية خطيئة ومعصية والنهاية اعتراف بالخطيئة وتوبة ومغفرة، وما بين البداية والنهاية صراع شديد برز في شكل ثنائيات متضادة: الحب والكره، والخير والشر، والشهوة والعفة، واليأس والفرح، والمرض والشفاء وهي ثنائيات قامت على نظام التضاد، فأعطت للبنية السردية شحنات عاطفية، وثناء لغويا وعمقا دلاليا.» (دقة بلقاسم: www. Univ-biskra.dz)

• يوسف (ع):

إن شخصية يوسف (ع) هي الشخصية المحورية في القصة وهي التي تدور حولها في عمومها كل القصص المكوّنة لقصته. هو «المبشر بالنبوة في منامه، والذي دبرت له مؤامرة وألقى في الجب، وأُنقذ، وبيع إلى وزير الملك، وراودته امرأة العزيز عن نفسه، و أُلصقت به التهمة فسجن، وهو الذي فسر رؤيا صاحبيه في السجن، ورؤيا الملك، وتولى الإشراف على وزارة المال، وكيد لإخوته بحجز أخيه الصغير "بنيامين"، ثم كشفه السر

لهم، وتعرف الإخوة عليه، وتلقى يعقوب خبر سلامة يوسف، ولقائه بأبويه، وإخوته وتحقق الرؤيا.» (دفة بلقاسم: www. Univ-biskra.dz)

• أخوة يوسف (ع):

هم أخوة أخذت الغيرة منهم مأخذاً كبيراً، فغمر الحسد قلوبهم، فعملوا على تغييب أخيهم بالكيد له ورميه بالجب.

• يعقوب (ع):

ذلك الإنسان الذي تحمل المعاناة وفراق الأحبة حتى ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم وهو الحكيم الذي يمتلك بعد النظر ويستطيع أن يقرأ أو يستشعر ما سيحدث وقال تعالى عن لسانه: {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (يوسف: ٩٦)، فحالته النفسية التي تتسم بالخوف على يوسف من أن يكيد له أخوته دعت له لتحذيره منهم وأن يكتفم رؤياه عنهم؛ {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (يوسف: ٥)

• أخو يوسف:

بنيامين.

• امرأة العزيز:

امرأة افتتنت، همها إشباع رغباتها وفي النهاية تعود وتشهد لصالحه بعد سجنه.

• الملك:

تتحكم به فكرة الصراع والاهتمام بشؤون دولته؛ لذا ظهرت في رؤياه السنابل والبقرات التي هي رمز للاقتصاد.

• السيارة "البدو":

هم التجار الذين أخرجوا يوسف من البئر وباعوه بثمن بخس أو مجموعة من البدو، باعوا يوسف للحصول على المال.

• الفتيان:

هما الشخصيتان اللتان دخلتا مع يوسف السجن ويقال: «هما صاحبا في السجن ويمثلان الحياة اليومية فأحدهما بائع للخبز والآخر عاصر للخمر.» (دلال عباس، ٢٠٠٠م: ١٣٠ - ١٣٥)

• النسوة:

نساء المدينة اللاتى قطعن أيديهن من جمال يوسف (ع) وهن اللاتى يثرن الإشاعات على امرأة العزيز.

• الشاهد:

وهو الشاهد الذى أشار إلى القميص وموضع قدّه، من القبل أم الدبر وكان من أقارب زوجة العزيز.

• المنادى:

وهو الذى أمر بإيقاف القافلة لأن فيها شخص سرق صواع الملك.

• الساقى:

وهو ساقى الملك الذى كان يقدم له الشراب.

• العزيز:

وهو بوتيفار أو قوطفير أو قوطيفار أو بوتيفار بن روحيب، عزيز مصر أثناء فترة قدوم النبى يوسف

حسب الروايات التوراتية.

• والدة يوسف:

وهى أم يوسف (ع) وقد ذكر أهل التفسير والأخبار أنّها تسمى راحيل بالعبرية وقد توفيت عنه وهو

صغير فى نفاس شقيقه بنيامين ولم يرد لها ذكر فى القصّ.

• الذئب:

الحيوان الذى نسب إليه أكل يوسف (ع) إخوته.

• المأل:

هم الذين طلب منهم الملك ليعبروا رؤياه ولكن عجزوا عن تأويلها وختاماً أسند الأمر إلى يوسف

(ع).

• القرية:

• البشير: وهو الذى ألقى قميص يوسف على وجه أبيه فارتدّ بصيرا به.

• العير:

القافلة التى غادرت مصر وكانت تقرب من "كنعان" حاملة قميص يوسف إلى أبيه.

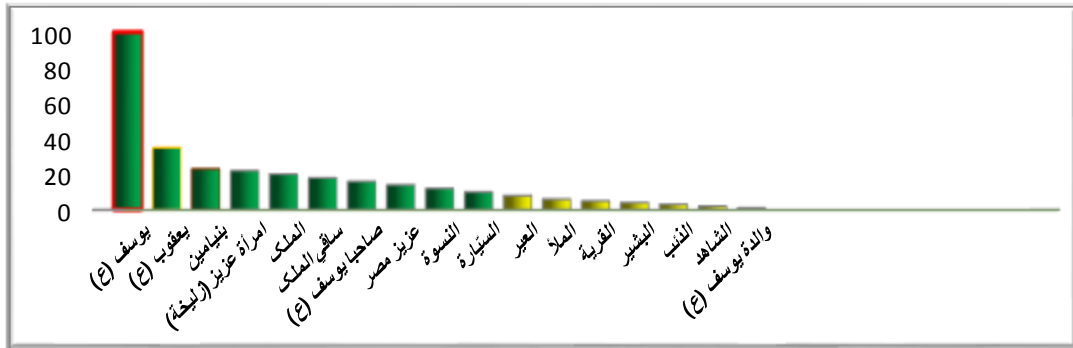
وهذه الشخصيات جميعها شخصيات عادية تسمى مسطحة باستثناء شخصية يوسف (ع) وإخوته وامرأة

العزيز. ونعود لشخصية يوسف (ع): «فهى الشخصية المحورية، فقد كان دوره تحرير الإنسان من الفكرة

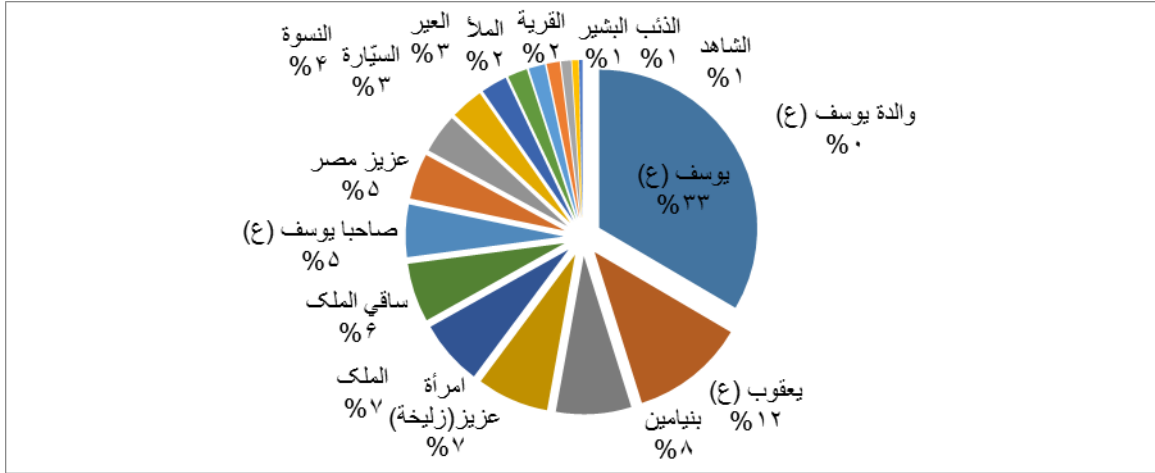
دراسة تحليلية في بنية الشكل الروائي لسورة يوسف (ع) وعناصرها الداخلية

المسيطرة عليه وهو يقف في وجه الحسد ودوافعه ويواجه الدعوة لإشباع الشهوات خارج النظام الأخلاقي والاجتماعي وهو يوجه الملك إلى نظام اقتصادي بديع وعمل على الدعوة له عز وجل ودعا لتحرير الإنسان من نوازعه الذاتية الضيقة.» (دلال عباس، ٢٠٠٠م: ١٣٠ - ١٣٥، بالإيجاز والاختصار)

تميزت قصة يوسف بحضور عدة من الشخصيات تخدم الحدث وتطوره وبما كان عدة شخصيات القصة تبلغ على ثمانى عشرة شخصية؛ فقد كان عدد الشخصيات الرئيسية منها اثنتين، هما شخصية يوسف التي كان حضورها بنسبة ١٠٠٪ من الأحداث التي تم استعراضها في ٩٨ آية وفي المقابل، الشخصية الجماعية (إخوة يوسف) تمثل دوراً في القصة يعادل ٥٦٪^٢ وبما أن الشخصية الرئيسية تعتبر أكثر دوراً وحضوراً في القصة، فإن يوسف وإخوته هما الشخصيتان الرئيسيتان في القصة. في مجال آخر شخصية يعقوب تشكل حضوره بنسبة ٣٥/٧١٪ وبنيامين بنسبة ٢٣/٤٧٪ وامرأة العزيز ١٨/٣٦٪، ثم تتالت نسبة حضور الشخصيات الثانوية والهامشية الأخرى وبإمكاننا أن نوضحها في المنحنى التالي:



وبإمكاننا كذلك أن نجري نسبة تأثير شخصيات القصة المئوية هكذا في المنحنى التالي تقريباً:



هناك في قصة يوسف شخصيات أخرى غائبة منها شخصية الشيطان التي لعبت دورا هاما في تفجير الأحداث. مع أن هذه الشخصية لم تبرز مباشرة ولكنه كان حاضرا في تحريك نفوس بعض الشخصيات وإثارة حقدهم وحسدهم وذلك يتضح في بداية السورة: *لَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ* {يوسف: 5} وقد أبرزه يوسف في نهاية السورة وركز على دور الشيطان وأكد عليه: *{مِن بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْتِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي}* {يوسف: 100} ومن الشخصيات التي غابت عن أحداث القصة ولكنها حاضرة بقيمتها وتأريخها في القصة شخصيتا إبراهيم وإسحاق (ع): *{وَأَيُّكُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}* {يوسف: 6} إن القيم والمبادئ الكريمة التي تحملها آباء يوسف الأنبياء في السنوات الماضية (ع) هي التي نلمس دورها الفاعل والمصيري في هذه القصة. وقد مثلت بعض الشخصيات الخيالية والرمزية دورها البارز والهام في دفع الأحداث نحو غايتها، منها شخصيات رؤيا الملك: *{سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ}* {يوسف: 46 و 43} وقد تكرر حضورها مرتين وهي شخصيات حلمية لا تنتمي لواقع المعيش ولا لأحداث القصة المتفاعلة مباشرة؛ بل إنها شخصيات رمزية تدل على ما حدث بالفعل وحضورها واضحة كحضور إخوة يوسف وغيرها على مدار القصة. هناك في القصة ثلاثة رؤى: 1. الرؤيا الأساس وهي رؤيا يوسف (ع) في صباه التي تحتل المكان الأول في القصة: *لَمَّا قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ* {يوسف: 4}. 2. الرؤيا السبب وهي رؤيا الفتيين في السجن

وتحتل الترتيب الثاني: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (يوسف: ٣٦). ٣. الرؤيا المتاح وهي رؤيا الملك التي تحتل المكانة الثالثة والأخيرة وفق ترتيبها في القصة: {وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون} (يوسف: ٤٣).

لا يخلو كذلك القميص في هذه القصة دون دلالات رمزية، حيث تجاوز كونه لباساً وقد أظهره السياق القرآني في مواقف ثلاثة مؤدياً في كل منها دوراً مهماً وهي: ١. قميص الكذب: {وَجَاؤُوا عَلَيَّ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} (يوسف: ٤٣) ٢. قميص البراءة: {...فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} (يوسف: ٢٨) ٣. قميص الشفاء وهو ثوب كان يرتديه وألقى على وجه أبيه فشفاه: {أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا} (يوسف: ٩٣)

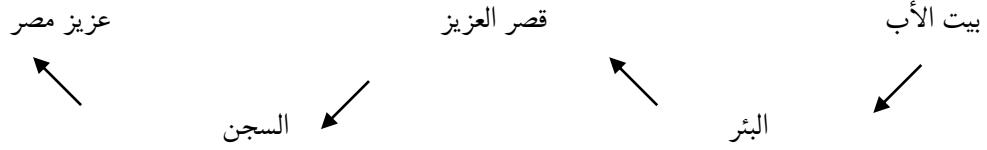
هنا يجدر القول أن حضور هذه الشخصيات الرمزية الغير بشرية ليس دون فائدة بل تلعب دوراً خطيراً، يدفع الأحداث ويفسر آليات تحركها.

٢ - ٥. الأحداث

يعتبر عنصر الأحداث من أهم العناصر القرآن الداخلية كله فهو «موجود في كل قصة سواء أكانت طويلة أم قصيرة أم بين وبين وسواء أكان من قصص الأنبياء أم غيرهم وسواء أكانت موزعة الحلقات أم معروضة في معروض واحد وسواء اعتمدت على طريقة السرد فحسب، أم على طريقة السرد والحوار معاً؛ فهو عنصر ضروري لا تقوم القصة إلا به ولا تتكون إلا على وجوده» (فرحان، لاتاً: ٢٣٩) اشتملت قصة يوسف (ع) على كل عناصر القصة الأدبية كما اشتملت على الكثير من المشاهد التصويرية. إذا أمعنا النظر في الأحداث الواردة في قصة يوسف (ع) في الوهلة الأولى نلاحظ تصوير طفل يتوخي أن يخاطب والده برؤيا رآها في منامه تشكل العقدة الأولى للقصة وبما أن هذه القصة بدأت برؤيا يوسف (ع) فتتبع أحداثها وتأويلها ظل مجهولاً شيئاً فشيئاً. وهناك في هذه البداية الرويوية تشويق وتحفيز للمتلقى، حيث تنامي الأحداث الرئيسية في القصة تأسيساً على هذا المطلع (العقدة) الذي ينتهي عنده المقصد في نهاية القصة وهو تحقيق الرؤيا.

تسير أحداث القصة بشكل مدهش، ولعل أهم ما يلاحظ على الأحداث أنها تسير بعكس الظاهر، فالأصل أن يكون محبة الأب لابنه يوسف (ع) شيئاً جميلاً؛ لكن مع يوسف (ع) تحول هذا الحب؛ لأن جعله إخوته في البئر، ثم إن الوجود في البئر أمر سيء لكن الله تعالى ينجي يوسف بأن التقطه بعض السيارة ثم كونه في

بيت عزيز مصر كان من المفروض أن يكون أمراً حسناً لولا ما هممت به امرأة العزيز، ثم السجن يبدو سيئاً لكن الله تعالى ينجيه منه ويجعله على خزائن الأرض ثم يصبح عزيز مصر وكأن الرسم البياني لأحداث لسورة يسير على النحو التالي تقريباً:



وقد أسهبت أحداث السورة في ذكر صبر يوسف (ع) على محنته بدءاً من حسد إخوته له وكيدهم ثم رميه في الجبّ ومحنة تعلق امرأة العزيز به ومرادتها عن نفسه، ثم محنة السجن بعد الرغد الذي عاشه في بيت العزيز ولما صبر على الأذى في سبيل العقيدة وصبر على الضرّ والبلاء نقله الله تعالى من السجن إلى القصر وجعله عزيز مصر ومملكه خزائن الأرض وجعله السيد المطاع والعزيز المكرم. وهكذا يفعل الله تعالى بأوليائه ومن يصبر على البلاء فلا بدّ لرسول الله أن يقتدى بمن سبقه من المرسلين ويوطّد نفسه على تحمل البلاء.

وفي النهاية يلقي القرآن ضوءه على آخر مشهد وأجله في القصة وهو تحقيق الرؤيا وفيها يقول تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ...} ومن هنا يتجلى لنا «الارتباط العضوي بين بداية القصة ونهايتها، حيث بدأت بداية مثيرة للتشويق لتزجح الستار ببطء عن المشهد (الرؤيا) ولتتحول إلى ما يشبه اللغز المحير بما تضمّنه من رمز خفيّ وبتنقلات عجيبة وأوضاع مختلفة حتى تقف على مشهد النهاية (تحقيق الرؤيا)» (فرحان، لا تأت: ۳۴۱)

٢-٦. الحكمة

إنّ الحيك من «أبرز معايير النصيّة التي تجعل النصّ كلاًّ موحداً متماسكاً دالاً، لا محض سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة» (عشاب، ۲۰۰۷م: ۵۹) وقد حدد "محمد يوسف نجم" الحكمة بأنها سلسلة الحوادث التي تجرى فيها، مرتبطة عادة برابط السببية (يوسف نجم، ۱۹۷۹م: ۶۳) «تخضع كلّ سورة قرآنية لحبكة تشدها وتربط أولها بآخرها أي أنّ أجزاء كلّ سورة تشترك في بنية كبرى تجمعها ولما كانت القصة القرآنية تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجاً عضويّاً لا مجال فيها للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، فقد خضعت هي الأخرى لحبكة تشدّ إليها كلّ مكونات القصة وهذا ما يستدعيّ حتماً انسجام البنيات الصغرى واتّحادها لتصبّ في قالب واحد، هو الباء الكليّ للحكاية» (عشاب، ۲۰۰۷م: مقدمة،

حرف الباء) إن الحكمة في قصة يوسف (ع) تختلف عن الحكمة في قصة عادية تنتجها أقلام القصاصين، فما تعارف عليه كتاب القصة من عقدة وصراع ناشئ عن العقدة وحل ناشئ عن الصراع لا يلتزم به القرآن الكريم في هذه القصة. إن قصة يوسف (ع) تقوم على حبكة الرؤيا، حيث تبدأ بالرؤيا الأساس وهي رؤيا يوسف (ع) في صباه التي تحتل المكان الأول في القصة، وقد كانت أول لقطة في قصة يوسف (ع)، حيث قال الله ما جاء على لسان يوسف (ع) لأبيه (ع): *لَرِيَا أَبَتِ إِنْى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ* {يوسف: ٤} وانتهت هذه القصة بتأويل هذه الرؤيا وحصل صاحبها على مكانة مرموقة جراء ذلك: *{وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا* {يوسف: ١٠٠} فلذلك نرى «جاءت جملات القصة مترابطة برباط معنوى واحد تشترك فيه، يتمثل في وحدة الموضوع الذى تدور حوله. وإن التماس تلك الوحدة يكشف لنا عن نسيج في غاية الائتلاف والتآلف، يتحقق عبر التقدم القرائى للمسار التطورى لمتتالية الخطاب.» (عشاب، ٢٠٠٧ م: مقدمة، حرف الباء) إن أحداث قصة يوسف (ع) متتالية وتعتمد على الترابط المتين وتقوم على السببية إذ تكون الوقائع فيها متصلة بعضها البعض وكأن كلاً منها علّة لما سيليهها، تجعل الحدث السابق سبباً للحدث اللاحق والحكمة فيها على مراحل، فالقصة مرت بمواقف ساخنة كثيرة تعدّ حبكة ومنها: ١. عندما ألقى يوسف (ع) في غيابة الجب. ٢. عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه وأغلقت جميع أبواب القصر للفاحشة. ٣. تهديد امرأة العزيز "زليخة" يوسف (ع) بالسجن وهو فتى في أوج شبابه قادر على ممارسة الفاحشة. ٤. اتهام بنيامين بسرقة صواع الملك وسجنه وتصميم الأخ الأكبر على عدم العودة إلى البيت إلا بعد معرفة مصير شقيقهم وحال الوالد عندما سمع بخبر دخول شقيقهم السجن ولحوقه بيوسف (ع) في مصر، من أهمّ الحكيمات الموجودة في سورة يوسف (ع) بالإيجاز والاختصار. مجمل القول أن الحكمة في قصة يوسف (ع) تظهر في التسلسل الحدثنى يجمعه خيط دلالي واحد من الحدث البدئى وهو رؤيا يوسف (ع) إلى الحدث النهائى وهو تأويلها.

٢ - ٧. الصراع

يتولد الصراع داخل القصة القرآنية عندما يشعر الشخص أو الأشخاص من شخوص القصة بعدم الارتياح إزاء أمر ما فيحاول دفعه عنه. ومن هذا المنطلق، ما يسمى بالعقدة الفنية في القصة واضح في سورة يوسف (ع)، فهي تبدأ بالصراع منذ اللحظة الأولى بهذه الرؤيا: *{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ* {يوسف: ٥} و«يظل تأويلها مجهولاً، يتكشف قليلاً قليلاً، حتى تجيء الخاتمة فتحل العقدة حلاً طبيعياً لا تعمل فيه ولا اصطناعاً! والقصة مقسمة إلى حلقات. كل حلقة تحتوي

جملة مشاهد. قصة يوسف وإخوته مع أبيهم يعقوب (ع)، قصة صراع الأبناء مع الآباء والأخوة مع بعضهم، صراع بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، في قصة كاملة جاءت في سورة كاملة وهي سورة يوسف (ع) «(سيد قطب، ۱۴۱۲هـ: ۲۰۱۵/۴) وما زال هذا الصراع الخارجى قائماً بين يوسف وأخيه من أمه وأبيه (بنيامين) من جهة، وإخوته من أبيه العشرة وما تداعى بناءً على كيدهم من جهة أخرى: حيث برز الشيطان محرراً لنفوس الإخوة وجاءت امرأة العزيز ومعاناة السجن، تداعياً لما قام به الإخوة واستمر الصراع بين الطرفين حتى اللحظات الأخيرة. يتأرجح ويشتد ويتأزم ولكن فى إطار من رحمة الله.

على طور التلخيص، بإمكاننا أن نقسم الصراعات القائمة فى قصة يوسف (ع) إلى ثلاثة أنواع رئيسية تتفرع كل منها إلى عدة فروع ونحن نقوم بشرحها فيما يلى:

الأول) الصراعات العامة بين شخصيات القصة، التى تشمل عدة ثنائيات متصارعة ومنها:

١. الصراع بين يوسف (ع) وإخوته:

تقع الحلقة الأولى من هذا الصراع فى قوله تعالى: ﴿رَأَى قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ آبِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبِنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبِنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف: ۷ و ۸ و ۹) فمن الآية الثامنة تبدأ الأحداث الفعلية للقصة بالمحاورة بين الإخوة ثم يخرج سياق كلامهم من المحاوراة إلى المؤامرة فى الآية (۸) فنراهم يتشاورون حول طريقة يتخلصون بها من يوسف (ع) ليخلو لهم وجه أبيهم ويقبل عليهم بحبه، فاقترح عليهم الأخ الثانى مواراة يوسف (ع) فى غيابة الجب. فهذه هى المجريات الصراع الذى كان بين يوسف (ع) وإخوته وقت غيابهم عن ناظرى أبيهم إلى أن أن استقر فى غيابة الجب. وتمرّ السنون ويتقلب الدهر ويمكن ليوسف فى الأرض فتتبدل قوى الصراع، فبينما كان يوسف من الحلقات الأولى من الصراع كان ضعيفاً يكاد له وبه سيصبح إخوته فى الحلقات التالية هم الضعفاء وهو من يكيد لهم وأول الحلقات الصراع بعد التحول نجدها فى قوله تعالى: ﴿رُجِيَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِ بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أوفى الكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (يوسف: ۵۸، ۵۹، ۶۰) ويشتد الصراع ذروته عندما يدبر يوسف (ع) مكيدة لإخوته ليأخذ أخاه عنده.

٢. الصراع بين يوسف (ع) وامرأة العزيز (زليخة)

لعل هذا الصراع من أعنف وأعمق الصراعات في حياة يوسف وهذا ما يقع في قوله تعالى: {وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} * وَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} (يوسف: ٢٣ و ٢٤)

٣. الصراع بين يوسف (ع) والنسوة

ونجد هذا المقام من الصراع في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (يوسف: ٣٣) فلم تعد امرأة العزيز وحدها تراوده ولكن عادت نسوة تلك الطبقة بجمالها تطارده! والبيئة.. التي تتجلى سماتها من خلال ذلك كله. يتضح أن نسوة مصر عندما ذهبن بجمال يوسف (ع) ما لبثن أن راودن يوسف عن نفسه حتى اشتد الصراع بينهما فهناك دعا ربه قائلاً: {يَا رَبُّ الْحَبْسُ فِي السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِكَ وَيُرَاوِدُنِي عَلَيْهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ} (يوسف: ٣٣) إن النساء قمن بمرآودة يوسف (ع) عن نفسه إما لخاصة أنفسهن وإما لفسخ خليلتهن (زليخة) وبعد انتهاء مقام الصراع بين يوسف (ع) وبين النسوة نعد إلى مقام آخر الصراع وهو مقام الصراع بين يوسف (ع) والسيارة. ونحن إذا قدمنا صراع يوسف (ع) مع امرأة العزيز والنسوة على مقام الصراع مع السيارة وذلك لأهميته ولدوره الكبير في إنماء القصة.

٤. الصراع بين يوسف (ع) والسيارة

بعد ألقى يوسف (ع) في غيابة الجب مرت بالبدن قافلة فالتقطته وهذا يتضح في قوله تعالى: {وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهَا الْزَاهِدِينَ} (يوسف: ١٩، ٢٠) وهكذا ينتقل يوسف (ع) من مقام للصراع إلى آخر فلما جاوز صراع الإخوة والسيارة امرأة العزيز والنسوة اصطدم بصراع من شكل آخر وهو صراعه مع النظام الحاكم في مصر آنذاك.

٥. الصراع بين يوسف (ع) والنظام الحاكم

نلاحظ أن البلاء يتلون على يوسف (ع) وتستبد به المحن تترى حتى يصل إلى آخر صراع له في قصته هذه وهو صراعه مع النظام الحاكم في مصر. وأول حلقتيه يتجلى في قوله تعالى: {كُتِبَ لَهُم مِّنْ قَبْلِ مَا رَأَوْا

الآيات لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّى حِينٍ { (يوسف: ۳۵) حيث على الرغم مما بدا من براءة يوسف (ع) مثبتة بآيات قد القميص بدا للنظام الحاكم في مصر أن يسجن يوسف (ع) حيث تُدفن معالمُ براءته لمواراة فضيحة امرأة العزيز حتى يظهر في صورة مجرمين بإرادة السوء بامرأة العزيز وهي ترمى إلى تطويعه لها وأن توهم أنهم شواهد على يوسف (ع) «(غنيم، ۲۰۱۱م: ۵۰) ولا يهم أن يذهب برىء كيوسف ضحية ويصبح العوبة بأيدي زليخة لإخماد هواها. وأما الحلقة الثانية من صراع يوسف (ع) مع النظام الحاكم نلاحظها في قوله تعالى: { وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ } (يوسف: ۵۰) وبهذا المقام ينتهي بنا عرض مقام الصراع بين يوسف (ع) وشخصيات قصته ولكن هناك مقامات للصراع بين شخصيات هذه القصة التي لا وجود ليوسف معها أي أنه ليس مصارعا مباشرا فيها إلا أن صراع الشخصيات فيها يكون حول ومن أجل وإزاء يوسف (ع) وذلك مما سنلمسه من عرضنا لمقامات الصراع التالية:

٦. الصراع بين يعقوب (ع) وأبنائه:

وأول حلقة من هذا الصراع جاءت في قوله تعالى: { قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * } قَالَ إِنِّي لَكَيْدٌ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ {

٧. الصراع بين امرأة العزيز والنسوة:

وإنه لما ذاع خبر مراودة امرأة العزيز ليوسف (ع) في المدينة جعلت النسوة كعادتهن ولكن هذا الحديث ويغتنبن به امرأة العزيز وذلك ما تطرق إليه الله تعالى: { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا * } إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرَجَ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ {

ولما سمعت امرأة العزيز بمكرهن وغيبتهن لها دعتهن إلى مأدبة في قصرها وهيأت لهن مجلسا خاصا يليق بشأنهن وأدت كل واحدة منهن سكيناً لتقطيع ما يقدم لهن ثم أمرت يوسف (ع) بأن يخرج عليهن فلما رأينه أعظمته ودهشن مما عاينوه من جمال فائق وحسن باهر فقطعن أيديهن. بهذا الصراع بين امرأة العزيز والنسوة ينتهي مقام الصراع بين شخصيات القصة وههنا تنتقل إلى نوع جديد من الصراع وهو الصراع الداخلي أو النفسي للشخصيات.

ثانياً: الصراع الداخلي النفساني للشخصيات القرآنية في القصة:

١. الصراع الداخلي ليوسف (ع):

أول صراع داخلي نلتقى به في قصة يوسف (ع) يتجلى في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (يوسف: ٣٣) وقد فضل يوسف (ع) السجن على أن يطاوعهن فأثر أحد الشرين على الآخر وإن كان في أحدهما مشقة وفي الآخر لذة ولكن بما يترتب على تلك اللذة من معصية الله سوء العاقبة لم يخطر له ببال. وثاني مقامات الصراع الداخلي ليوسف عندما جعل على خزائن الأرض وأتى إخوته للمرة الثانية حين كاد لأخيه وأخذ عنده لما دبر له حادث السرقة واكتشف أن شقيق يوسف هو السارق، فقال الإخوة: {إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ} (يوسف: ٧٧) ويعنون يوسف (ع) {فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} (يوسف: ٧٧) فلما سمع يوسف (ع) كلامهم: "أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا" كظم غيظه وصارع نفسه وصبر على أذاهم وكان قادراً عليهم.

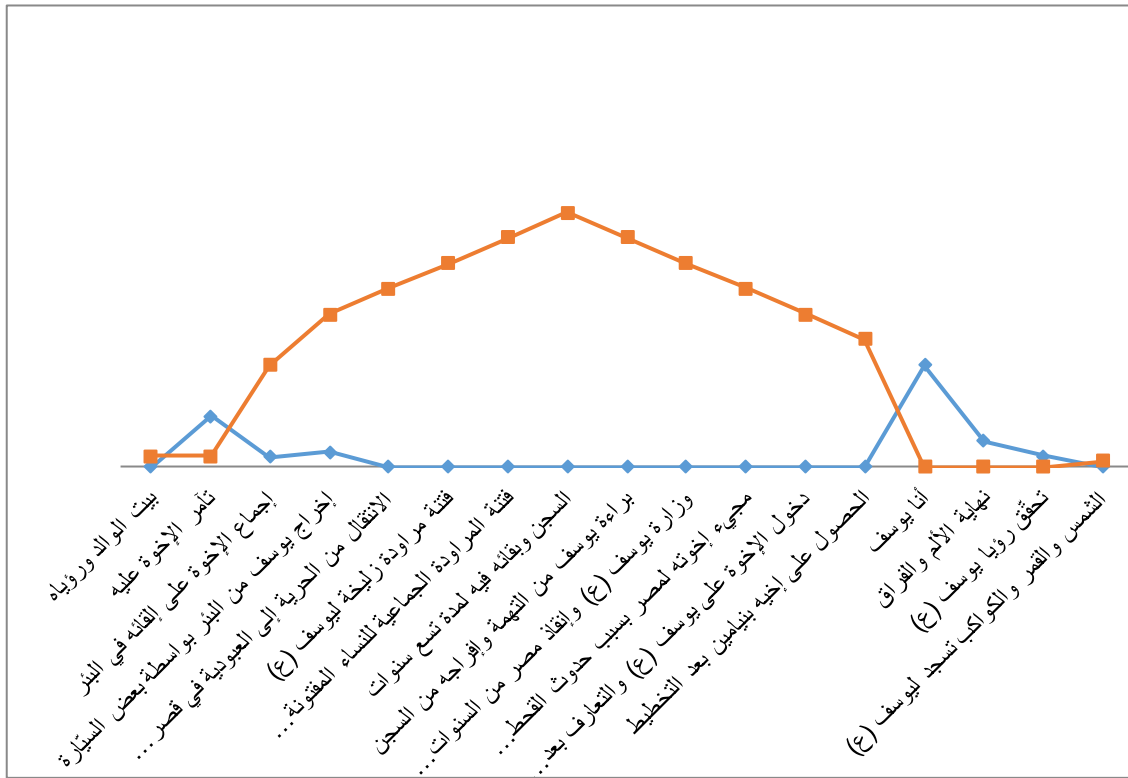
٢. الصراع الداخلي ليعقوب (ع)

وهذا الصراع يتمثل في قوله تعالى: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} (يوسف: ٨٤) وكان حزن يعقوب (ع) هذا بعد أن ضيع الإخوة ابنه الثاني "بنيامين" وخلفوا وراءهم أخاهم الكبير في مصر، فأعرض يعقوب (ع) عن أبنائه «كراهة لما جاؤوا به وأنه ساء ظنه بهم ولم يصدق قولهم وجعل يتفجع ويتأسف.» (الأندلسي، ١٩٩٣م: ٣٣٣/٥)

ثالثاً: الصراع بين الإنسان والطبيعة:

ونقصد به ذلك الصراع الذي يدور بين الإنسان وقوى الطبيعة المتحدية له وما يبذله من جهد لكي ينتصر عليها لتنهأ معيشته. وهذا الصراع بين الإنسان والطبيعة «ليس فيه ما في الصراع بين الإنسان والإنسان من عداوة وحسد وبغضة؛ لأن هذه الدوافع إنما تقوم بين المتماثلين جنساً والمتقاربين درجة والمتناسبين صناعة وعملاً» (الخطيب، ١٩٦٥م: ٢٣٣) ونحن نجد نموذج هذا الصراع في رؤيا الملك متمثلاً في قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} (يوسف: ٤٣) وما يهمننا ههنا هو ذلك الصراع الذي كان بين أهل مصر وما حولها وبين الطبيعة خاصة في سنوات العجف والشدة حيث لاقى منها الناس الأمرين.

مع هذا كله يتضح أنّ الصراع «قد شهد مراحل متتالية في قصة يوسف، حيث نشب في اللحظات الأولى بين يوسف الطفل وإخوته، ثم بين يوسف الفتى الشاب وامرأة العزيز، من المراودة إلى الاتهام، إلى الفتنة والكيد وكل ذلك كان مترتباً عن الصراع الأول الناتج عن إلقاءه في غياهب الجب.» (غنيم، ۲۰۱۱م: ۵۲) بإمكاننا أن نعبر عن أحداث والصراعات الموجودة في قصة يوسف (ع) بالمنحنى التالي:



٢ - ٨. الحوار

ويقصد به ما يصدر عن الشخصيات من كلام ويتراوح بين كونه مطوّلاً أو مقتضباً حسب ما يقتضيه الموقف. ويردُّ الحوار محكياً على لسان الشخصيات بعد لفظ «قال» وهو حوار ينقل المشهد حياً. وبأمكاننا أن نقول: «إننا لا نسمح للكلمات حتى نجد صاحبها معها ينطق بها وهي محمّلة بخلجات ونبرات صوته وما انطبع على ملامحه من آثار الانفعال.» (فؤاد، ١٩٨٢م: ١٩٣) يُطرحُ الحوار في قصة يوسف (ع) بطرق ثلاثة وهي: ١. الحوار الخارجي. ٢. الحوار الداخلي أو النفسي. ٣. الحوار الدرامي.

الحوار الخارجي: يطلق على محادثة شخص مع شخص آخر أو شخص مع جماعة أخرى ويتمثل في قصة يوسف (ع) ضمن الآيات التالية تقوم بذكرها فيما يلي:

الف. المحادثة بين شخص وآخر:

١. الحوار بين يعقوب (ع) ويوسف (ع) يتمثل في آيات (٤ و٥)

٢. الحوار بين يوسف (ع) وامرأة العزيز في آيات (٢٣، ٢٤، ٣١)

٣. الحوار بين الشاهد والعزيز في الآي (٢٧)

٤. الحوار بين العزيز وامرأته في الآي (٢٨)

٥. الحوار بين العزيز ويوسف (ع) في آيات (٣١ و ٣٢)

٦. الحوار بين بنيامين ويوسف (ع) في الآي (٦٩)

ب. محادثة الفرد مع الجماعة أو الجماعة مع الفرد أو الجماعة مع الجماعة

١. الحوار بين يعقوب (ع) وإخوة يوسف (ع) يتمثل في الآيات: (١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١ و ٤٢،

٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤ و ٧٥،

٢. الحوار بين يوسف (ع) وإخوته يتمثل في الآيات: (٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤ و ٧٥)

(٩٣)

٣. الحوار بين يوسف (ع) ويعقوب (ع) والإخوة الذي يتمثل في الآيات: (٩٩ و ١٠٠)

٤. الحوار بين يوسف (ع) والسجناء الذي يتمثل في الآيات: (٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١ و ٤٢)

٥. الحوار بين إخوة يوسف (ع) ومسؤولي القمح الذي يتمثل في الآيات: (٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤ و ٧٥)

الحوار الداخلي: وهو ذلك الحوار الذى يختص بالله تعالى مع وجوده الفاعل وقدرته اللامتناهى، عالم بكل زاوية من الرؤية وحاضر فى القصة ويتمثل حضوره الخاص فى الآيات: (٦، ٧، ١٥، ٢١، ٢٤، ٥٢، ٥٦، ٧٦ و ١٠٢)

الحوار الدرامى: هذا النوع من المحادثة لا يقتصر على الأسئلة والأجوبة المباشرة بين جانبيين فحسب؛ بل إن «المحاورين فى هذا الحوار يمثلان دورا دراماتيكيا فى القصة» (بروينى، ١٣٧٨ش: ١٦٩) وهذا الحوار له دور قيادى فى القصة وبالتالي يودى إلى عمل مسرحى بارز. ومنه:

١. رؤيا يوسف (ع) التى أدت إلى حسد الإخوة بحيث عزموا على قتله ويتمثل هذا الأمر فى الآيات: (٥ و ٦)

٢. مرادة امرأة العزيز ليوسف (ع) حتى انتهى به الامر مسجوناً ويتمثل فى الآية: (٢٣)

٣. المحاورة بين يوسف (ع) والسجناء التى أدت إلى تفسير رؤيا الملك وبالتالي إطلاق سراحه عن السجن وهى تتمثل فى الآية: (٣٦)

٤. المحاورة بيت يوسف (ع) وإخوته جعلته أن تقرب يوسف (ع) من أخيه «بنيامين» وهذا الحوار يتمثل فى الآية: (٥٩) هذه المحاورة بين يوسف (ع) وأخيه المحبب «بنيامين» تذهب بالقصة إلى أوجها. من الواجب هنا أن نوضح بأن "الحوار" القرآنى يتخذ أشكالاً متنوعة بعضها متوافر فى القصة الأرضية وبعضها الآخر غير متوافر فيها فهناك الحوار الخارجى متمثلاً فى محادثة الشخص مع آخر أو مع مجموعة وهناك الحوار الجمعى المبهم وهناك الحوار المحدد فضلاً عن "حوار" خاص مع الله وحوار مع "النفس" ومجرد التفكير يأخذ سمة الحوار، فضلاً عن الحوار مع الأجناس غير البشرية ... إلخ... وقصة يوسف (ع) تشتمل على غالب هذه المواقف من أنواع الحوار فى القرآن.

٢ - ٩. المستويات الرمزية فى القصة

شكل قميص يوسف (ع) رمزاً دلاليًا بعيد الدلالة، فقد شكل نقاط تحول بالقصة كاملة، وتكرر فى ثلاث قصص جزئية من قصة يوسف (ع)، من رؤياه الأولى إلى تحققها بسجود أبويه له. وسوف نتبع المواقف التى ظهر بها القميص.

المستوى الأول: يتمثل فى المؤامرة التى حاكها أخوة يوسف (ع) ضده وهى رميه بالجبّ وعودتهم إلى أبيهم يحملون قميصه وعليه دم كذب: {وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...} (يوسف: ١٨) فالقميص الملطخ بالدم هو كل ما بقى من يوسف الغائب، لذا حمل فى هذا الموقف

"رمز الغياب"؛ وربما حمل دلالة الاحتيال والكذب؛ فقد استخدم هذا القميص الملطخ بالدم الكذب في الدلالة على الكذب.

المستوى الثاني: يتمثل في محاولة امرأة العزيز للدفاع عن نفسها وردّ التهمة عنها بادعائها أن يوسف هو المُدان، بإرادته السوء بها؛ ولثبوت البراءة شهد شاهد من أهلها، بأن قميصه إذا قُدَّ من أمام فهي صادقة وهو كاذب وإن كان قميصه قُدَّ من خلف فإنه صادق وهي كاذبة. قال تعالى: {قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (يوسف: ٢٧ - ٢٦)، فصار هذا القميص هو القاعدة الأساسية التي بنى عليها الحكم.

المستوى الثالث: حين عادوا بقميص يوسف (ع) إلى يعقوب (ع)؛ فقد حلَّ القميص محل يوسف (ع) فالقميص هو الذي يردّ البصر إلى يعقوب (ع). فهو من خلال هذا القميص يشمّ ريح يوسف (ع) قال تعالى عن لسانه: {أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْتَفُوهُ عَلَيَّ وَجْهَ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَيَّ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (يوسف: ٩٦ - ٩٣)

هناك أمر رمزي آخر في قصة يوسف (ع) وهو أن القميص ذُكر في ثلاث مواطن والرؤى ثلاثة: رؤيا يوسف (ع) وهو صغير {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (يوسف: ٤)، رؤيا السجينين ورؤيا الملك. إذن القمصان ثلاثة والرؤى ثلاثة والرحلات إلى يوسف ثلاثة: الرحلة الأولى لما جاءوا يستمرون يوسف ليأخذوا الميرة: {وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} (يوسف: ٥٨)، والرحلة الثانية لما جاءوا بأخيهم واستبقاه عنده: {وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيَّ يَوْمَئِذٍ تَوَسَّلَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ لَا يَتَفَضَّلُونَ} (يوسف: ٦٩)، والرحلة الثالثة لما قالوا: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلُنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ} (يوسف: ٨٨). إذن ثلاث رحلات. القمصان ثلاثة والرؤى ثلاثة والرحلات ثلاثة من حيث العدد، هذا من الموافقات. الرؤى متغيرة ليست نفسها لأن الرائي ليس واحداً وإنما هي رؤى مختلفة والقميص ليس واحداً وإنما متغير أيضاً قميص وهو صغير وقميص لما بلغ أشده وقميص أرسله إلى أبيه.

حصاد البحث

۱. هناك نتيجة عامة في هذا المقال تتمثل في أن مصدرية السرد في الخطاب القرآني تحيل إلى الله تعالى، وتهدف إلى تحقيق المعانقة للإسلام، وتكشف للمتلقى عن عقيدة التوحيد. ففي هذه القصة، كما عبر القرآن (آيات للسائلين)، فيها عبر ومواعظ للمتلقى.
۲. إن بنية الشكل الروائيّ والسرد في سورة يوسف هي مفاعلة موضوعية، الإطار فيها مرتبط بالحوار والتوصيل، والدعوة إلى التمسك بالقيم والمبادئ التي يدعو إليها الدين القويم.
۴. جاءت الشخصيات في هذه القصة وحبكتها السردية، وأبعادها الزمكانية مبرزة السمة الإعجازية اللغوية للخطاب القرآني.
۵. إن لذكر المكان في قصة يوسف (ع) وظيفة تاريخية كسبب انتقال بنى إسرائيل من بادية الشام إلى مصر ووظيفة إقتصادية حيث كانت مصر مصدر ادخار الغداء واحتياطه لسنوات الجذب والقحط لتجاوز الأزمة كما أن ذكر المكان يحيل على الظواهر الحضارية والثقافية حسب البيئات كبادية الشام وما فيها ومصر الحاضرة وما تعج به. وهي يتمثل في قصة يوسف (ع).
۶. قد بلغ القرآن ولا سيما قصة يوسف (ع) قمة الإعجاز في سرد القصة، حيث ظهر لنا أسبقيته إلى جميع ما يشترطه النقاد المحدثون من عناصر القصة التي تتمثل في الأحداث والشخصيات والحوار والزمان والمكان التي ينبغي توافرها لتبنى عليها القصة الفنية الناجحة.
۷. الصراعات الموجودة في قصة يوسف (ع) ينقسم على: ۱. الصراعات العامة بين شخصيات القصة، التي تشمل عدّة ثنائيات متصارعة ومنها: الصراع بين يوسف (ع) وإخوته، الصراع بين يوسف (ع) وامرأة العزيز (زليخة)، الصراع بين يوسف (ع) ونسوة المدينة، الصراع بين يوسف (ع) والسيارة، الصراع بين يوسف (ع) والنظام الحاكم، الصراع بين يعقوب (ع) وأبنائه، وكذلك الصراع بين امرأة العزيز والنسوة. ۲. الصراع الداخلي النفساني للشخصية القرآنية في القصة التي تتمثل في الصراع الداخلي ليوسف (ع) ويعقوب (ع). ۳. الصراع بين الإنسان والطبيعة.
۸. قدّم الحوار في قصة النبيّ يوسف (ع)، على السرد، حيث لا تتوافر في السرد إمكانات الحوار الذي يُطرحُ في هذه القصة بطرق ثلاثة وهي: ۱. الحوار الخارجي. ۲. الحوار الداخلي أو النفسي. ۳. الحوار الدرامي. إن معظم آيات سورة يوسف (ع) فيها حوار، حيث تبدأ السورة بحوار يوسف (ع) مع أبيه يعقوب (ع): {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (يوسف: ۴)، وحوار

يعقوب (ع) مع ابنه يوسف (ع)؛ إذ يقول: {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} (يوسف: ٤).

٧. في هذه القصة إشارات ورموز دالة بسياقاتها وأحوالها المختلفة على خصائص النص القرآني الخالد، ومعبرة عن عظيم قدرة الخالق السارد للقصة المتكاملة التي اشتملت على كل عناصر القصة الفنية، من بداية ونهاية وشخصيات ومكان وزمان وعقدة وحل. فالقصة فيها بيان لحياة يوسف ومحنته مع إخوته، ومحنته مع امرأة العزيز، ودخوله السجن، ودعوته إلى الله، ثم خروجه من السجن، وتفسيره لرؤيا الملك، واستلامه وزارة المال، ثم مجيء إخوته إلى مصر بسبب القحط، ثم التعرف على إخوته، ثم اللقاء المثير وتحقق الرؤيا.

٨. بإمكاننا ان نقسم الشخصيات في قصة يوسف إلى نوعين رئيسيين هما: الشخصيات الثابتة وأبرزها يعقوب ويوسف والشخصيات القلقة المتغير وأبرزها امرأة العزيز وإخوة يوسف. ان الصراع في قصة يوسف يبلغ ذروته حين تظهر الشخصيات القلقة بمظهر المنتصر الظافر وتظل الشخصيات الثابتة ولا سيما شخصية يوسف في حالة يكتنفها الغموض والابهام والترقب لما يأتي به الغيب. ثم تأتي نهاية الصراع وحل العقدة عندما ينكشف زيف الشخصيات القلقة وتراجعها عن مواقفها امام قوة البطل وثباته على موقفه الحق.

الهوامش:

۱. يذكر أن يعقوب عليه السلام كان له أربع زوجات (ليثة، راحيل، بلهة، زلفا)، رزق منهن باثني عشر ومن زوجته (رحيل): يوسف وبنيامين، ينظر: عفيف عبد الفتاح طيارة، مع الأنبياء، دار العلم للملايين، بيروت ط ۱۳، ۱۹۸۴، ص ۱۶۰، وتمام حسان، البيان في روائع القرآن، ۳۵۶/۲۶.
۲. تم تشكيل المنحنى بنسبة حضور الأشخاص في الآيات ومجموع كل الآيات ۹۸ آية. مثلا بلغ حضور شخصية بنيامين في ۲۳ آية وزليخة في ۱۸ آية، هكذا.

المراجع والمآخذ

١. ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٧٦م)، «تفسير التحرير والتنوير»، تونس: دارالتونسية للنشر.
٢. الأندلسي، محمد بن يوسف أبوحيان (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، «تفسير البحر المحيط»، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد عوض، بيروت: دارالكتاب العلمية.
٣. بلقاسم، دفة (لاتاً)، «بنية الخطاب السردى في "سورة يوسف" دراسة سيميائية»، الجزائر: جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.
<http://univ-biskra.dz/lab/lla/images/pdf/sem4/daffa.pdf>
٤. تمام، حسان، (٢٠٠٠م)، «البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني)»، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢.
٥. الخطيب، عبدالكريم (١٩٦٥م)، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، بيروت: دارالفكر.
٦. الدمشقي الحنبلي، أبو حفص عمر (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، «اللباب في علوم الكتاب»، تحقيق: عادل أحمد عادل عبدالموجود، ط: ١، بيروت: دارالكتاب العلمية.
٧. سطوف، عزوز (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م)، «بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف نموذجاً»، بحث مكمل لنيل شهادة الماجستير في البلاغة وشعرية الخطاب، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: جامعة منتوري قسنطينة.
٨. سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (١٤١٢هـ)، «في ظلال القرآن»، ط: ١٧، بيروت - القاهرة: دارالشروق.
٩. الصابوني، محمد علي (١٩٨١م)، «صفوة التفاسير»، ط: ٢، القطر: الشؤون الدينية.
١٠. الطبرسي، امين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن (لاتاً)، «تفسير مجمع البيان»، المجمع العالمي لأهل البيت، عدد الأجزاء: ١٠ أجزاء.
١١. عشاب، أمينة (٢٠٠٧ - ٢٠٠٦م)، «الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني سورة يوسف أنموذجاً»، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها.
١٢. غنيم، كمال أحمد (٢٠١١م)، «بنية السرد القصصي في سورة يوسف (ع)»، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، يناير، صص ٦٢ - ٣٤.
١٣. فؤاد علي رضا (١٩٨٢م)، «من علوم القرآن»، ط: ٢، بيروت: دار اقرأ.

۱۴. نجم، محمد یوسف (۱۹۷۹م)، «فن القصة»، ط: ۷، بیروت: دارالثقافة.
۱۵. حمید فرحان، بان (لاتاً)، «جماليات القصص القرآنی سورة يوسف نموذجاً»، جامعة بغداد، كلية الآداب، العدد ۱۰۱، لانا.
۱۶. الحمص، عبدالجواد محمد (۲۰۰۰م)، «أدب القصة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز»، الإسكندرية: الدار المصرية، سلسلة الدراسات القرآنية.

Acknowledgements

I would like to express my thanks to reviewers for their valuable suggestions on an earlier version of this paper.

Declaration of Conflicting Interests

The author(s) declared no potential conflicts of interest with respect to the research, authorship and/or publication of this article.

Funding

The author(s) received no financial support for the research, authorship, and/or publication of this article.

REFERENCES

- Ibn Ashour, M., (1976), *"Interpretation of Tahrir and Enlightenment"*, Tunisia: Dar al-Tunisiyah Publishing.
- Al-Andalus, M. Y., (1993), *"Tafsir al-Bahr al-Muhit"*, research: Sheikh Adel Ahmad Abd al-Mujud, and Sheikh Ali Muhammad Awad, Beirut: Dar al-Kitab al-Alamiya.
- Belqasem, D., (No date), *"The structure of the narrative discourse of Surah Yusuf; Semiotic Study "*, Algeria: Mohamed Khaidar Baskra University, Faculty of Arts, Humanities and Social Sciences.":
<http://univ-biskra.dz/lab/lla/images/pdf/sem4/daffa.pdf>
- Tamam, H., (2000), *"Study of the science of expression in the Qur'an (study of stylistic language)"*, 2th edition. Cairo, Book World,
- Al-Khatib, A., (1965), *"Quranic story in meaning and word"*, Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Damashqi Al-Hanbali, A. H., (1998), *"Al-Labab in the Science of Books"*, research: Adel Ahmad Adel Abdul Al-Mawjoud, 1th edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Alamiya.
- Satuf, A., (2008), *"Rhetoric of Quranic Stories, Case Study of Surah Yusuf"*, Senior Thesis, Algerian Democratic Republic of Algeria: The Constantinople Mentor Society.
- Sayyid Qutb, I. H., (1992), *"In the shadow of the Qur'an"*, 17th edition, Beirut - Cairo: Dar al-Shorouk.
- Al-Sabouni, M. A., (1981), *"Selected Interpretations"*, 2th edition, Qatar: Religious Affairs.
- Al-Tabarsi, A.A., (No date), *"Tafsir Majma 'al-Bayan"*, World Association of Ahl al-Bayt.

Analytical study of the narrative structure of Surah Yusuf (PBUH) and its internal elements [In Arabic]

Ashhab, A., (2007), "*Spatial entanglement in the narrative context of the Qur'an, a case study: Surah Yusuf*", Master Thesis, Ministry of Higher Education and Scientific Research, Hasiba Ibn Bu Ali University. Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature.

Ghanim, K. A., (2011), "*Structure of storytelling in Surah Yusuf PBUH*", Journal of Aqsa University (Humanities Collection), Vol 15, No 2, Yenair, pp. 62 - 34.

Fouad, A. R., (1982), "*Quranic Sciences*", 2th edition, Beirut: Dar Aqra.

Najm, M. Y., (1979), "*Story Techniques*", 7th edition, Beirut: Dar al-Thaqafa.

Hamid Farhan, B., (No date), "*The Aesthetics of Quranic Stories, A Case Study of Surah Yusuf*", Baghdad University, Faculty of Arts, No. 101,

Al-Homs, A. J., (2000), "*Story Literature in the Holy Quran*", Alexandria: Al-Dar Al-Masriya

.
.